البيانُ المأمول في حكم سبّ اللّه والرَّسول

خطبة
للشَّيخ صالح بن عبد الله العصيمي

النُّسخة الإلكترونية الثَّانية

أعدَّ هٰذه المادة

سالم بن محمَّد الجزائري

١٨/ ربيع الأوّل/ ١٤٣٣

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبده ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النِّساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب].

أمَّا بعدُ...

فإنَّ أصدق الحديث كتاب وأحسن الحديث حديث محمَّد ﷺ وشر

الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة.

أيُّها المُؤمنُون..

قال اللهُ ﷻ في محكم تنزيله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾[الأحزاب].

وإنَّ من أعظم أذيَّةِ الله وأذيَّة رسوله ﷺ وأذيَّة عباد الله المؤمنين التَّعرُّض لجناب الله ﷻ أو جناب رسوله ﷺ بسبٍّ أو سخريةٍ أو استهزاءٍ، وقد كان هٰذا في الزَّمن الأوَّل فعرض من حال المنافقين في عهده ﷺ استهزاؤهم استخفافًا بالرَّسول ﷺ وأصحابه فأكفرهم الله ﷻ وأنزل على رسوله ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ﴾ [التوبة].

وإذا كان ذلك مُخالًا في استهزاءٍ يُراد به استخفاف لا تقصد حقيقته عند مدَّعيه، فكيف كان المتكلم مصرِّحًا بالتَّنقُّص لله ﷻ أو رسوله ﷺ.

روىٰ ابن أبي حاتم بإسنادٍ جيِّدٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رجل في غزوة تبوك: ما رأينا مثل قرَّائنا هؤلاء، أرغب بطونًا ولا أكذب ألسُنًا، ولا أجبن عند اللِّقاء؛ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال عوف بن مالك: كذبت؛ ولكنَّك منافق؛ ولأخبرنَّ رسول الله ﷺ فانطلق عوفٌ إلىٰ رسول الله ﷺ ليُخبره، فوجد القرآن قد سبقه، وجاء ذلك الرَّجل إلىٰ رسول الله ﷺ وقد ركب رسول الله ﷺ ناقته، قال ابن عمر: فكأنِّي أرىٰ ذلك الرَّجل متعلِّقًا بنسعة ناقة رسول الله ﷺ؛ أي بخِطامها والحجارة تنكبُ رجليه، وهو يقول: يا رسول الله إنَّما كنَّا نخوض ونلعب ونقطع عنَّا الطريق، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ ما يلتفت إليه ولا يزيده عليه.

وقد نقل جماعة من العلماء من كلِّ مذهب من الحنفية والماكية والشَّافعية والحنبلية كإسحاق ابن راهويه، وعياض اليحصبي، وأبي محمَّد الفارسي: كفر من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ.

قال القاضي عياض: ولو كان حامله علىٰ ذلك جهالةٌ أو ضجرٌ أو سكرٌ حمله علىٰ ذلك فقاله، كل ذلك تعظيمًا لجناب الله وجناب رسوله ﷺ، فمن سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ فهو كافر ودمه هدر.

وعند أبي داود بسند جيِّد من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ امرأة وجدت مقتولة، فأُخبر النَّبيُّ ﷺ بذلك، فجمع الناس وسأل عنها، فلم يقم أحد، فقال ﷺ: «سألتُ من فعل بحقِّي عليه أن يقوم فيخبرني» فقام رجل أعمىٰ، فقال: يا رسول إنَّها أمُّ ولدٍ كانت لي، وكان لي منها ولدان كالرُّمَّانتين، وكانت رفيقةً بي؛ ولكنها كانت تسبُّكَ وتلعنُكَ، فكنت أنهاها فلا تنتهي، فلمَّا كان البارحة لعنتك وسبَّتك فأغلظت القول لها فلم تنته، فقمتُ إلىٰ معولٍ عندي فوضعتُه في بطنها حتىٰ اندقَّت عظام ظهرها، فأنا ذلك يا رسول الله.

فقال رسول الله ﷺ: «ألا فاشهدوا أنَّ دمها هدر».

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله العليّ العظيم لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرَّحيم.

الحمد لله ولي المؤمنين، نحمده سبحانه علىٰ جليل نعمائه، وجزيل آلائه، ونشهد أنَّه وحده هو المعبود حقًّا، وأنَّه وحده هو المعبود حقا، وأنَّ محمَّدًا هو عبده ورسوله صدقًا، صلَّىٰ اللهُ، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه بإحسانٍ إلىٰ يوم الدِّين.

أمَّا بعد..

أيُّها المؤمنون..

إنَّ من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ كافر باتِّفاق المسلمين، ودمُه هدر، وتولِّي ذلك موكَلٌ إلىٰ وليِّ أمر المسلمين، وليس لأحد أن يبتدئ إنفاذ الحدِّ فيه بقليل ولا كثير؛ بل ذلك مفوَّض إلىٰ من بيده أزمَّة الأمر والله ﷻ سائله عن ذلك.

ومن تاب بعد سبِّ الله فإنَّ توبته تُقبل ولا حدَّ عليه.

ومن سبَّ رسول الله ﷺ فتاب فإنَّ حقّ الله يتوب الله عليه، وأمَّا حقّ رسول الله ﷺ فلا يسقط أبدًا، ولا يحقُّ لأحدٍ أن يسقطه؛ لأنَّ الجناية إن تعلَّقت بآدمي لم يسقطها إلَّا ذلك الآدميّ كقاطع الطَّريق الذي يعرض للنَّاس فيسرق ويسلب ويقتل، فإن تمكن منه وليّ أمر المسلمين كان له أن يعفو عنه فيما سلب وسرق، فإن أصاب دمًا فإنَّ

الدَّم لأولياء الدَّم إن شاؤوا عفوا عنه وإن شاؤوا أقاموا عليه الحد، وكذلك من سبَّ رسول الله ﷺ فإنَّ أمره فيما بينه وبين الله إلىٰ الله.

وأمَّا فيما يتعلَّق بحق رسول الله ﷺ فإنَّه لا يسقط بحال عند أكثر أهل العلم، وحقُّه أن يقتل انتقامًا لرسول الله ﷺ وتوقيرًا لجنابه.

واعلموا -أيُّها المؤمنون- أنَّ الله ﷻ يحبُّ العفو في موضعه، ويحب الغلظة علىٰ أعدائه في موضعها فأنزل علىٰ رسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]

وذلك كلام العفو الكريم وهو أرحم الرَّاحمين.

وإنَّ الواقعة التي بُليت بها البلاد قد فضحت كثيرًا من الأدعياء الذين ينتسبون إلىٰ حرِّية الرَّأي، سواءً ممَّن يلبس المَشَالِح ويتحدَّث نيابةً عن الشَّريعة ممَّن يتملَّق إلىٰ هؤلاء المزعومين بالتَّنوير من أدعياء اللِّيبرالية، ويطلب [..] عندهم رجاء أن يُنسب إلىٰ حرِّية الرَّأي فيكون طريقه من السِّجن إلىٰ القصر كما يقال له.

وقومٌ آخرون هم من الزَّنادقة المنافقين وإن كانوا يتكلمون بألسنتنا وهم من أبناء جلدتنا، إلَّا أنَّه إذا كان الكافر يكون من قريش -أفضل

قبيلة من العرب- فإنَّ الكافر يكون من السُّعوديِّين أيضًا فإنَّهم ليسوا شعبًا مختارًا، ومن كفر بالله وبرسوله ﷺ فإنَّه كافرٌ لا حرمةَ له بنسبٍ ولا بجنس ولا أرض ولا أصل.

فاعرفوا -أيُّها المؤمنون- حقَّ ربِّكُم وحقَّ نبيِّكُم ﷺ.

وإنَّك لتعجبُ من أقوام تحدَّثوا قبل أيَّام قليلة عن مولد النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا اعتدي علىٰ جنابه ما سمعنا لهم صولة ولا جولة؛ لأنهم يريدون أن يكون لهم موقعا فيما يُدعىٰ بحرية الرَّأي، وهي في الحقيقة حرِّية الكفر، فالصَّادقون في محبَّة النَّبيِّ ﷺ هم القائمون بالغيرة له إذا اعتدي علىٰ جنابه ﷺ، ونظير أولئك: أولئك الذين يدعون محبَّة آله، فإنَّهم لم ينبسوا بكلمة ولا تحرَّكت منابرهم دفاعا عن جناب النبي ﷺ، وإنَّ الفتن تفضح النَّاس وتبيِّن حقائقهم، والسَّعيد من وُعظ بغيره، والبصير من بصَّره الله.

اللّٰهمَّ أحيينا علىٰ الإسلام والسُّنّة، وتوفَّنا علىٰ الإسلام والسُّنّة، اللّٰهمَّ احفظنا بالإسلام قائمين، واحفظنا بالإسلام قاعدين، واحفظنا بالإسلام نائمين.

اللّٰهمَّ هيِّئ لنا من أمرنا رشدًا، وأرنا الحق حقًّا وارزقنا اتِّباعه،

وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه.

اللّٰهمَّ آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللّٰهمَّ إنَّا نسألك الهدىٰ والتُّقىٰ والعفاف والغنىٰ.

اللّٰهمَّ آمن المسلمين في دورهم، وأصلح أئمتهم وولاة أمورهم.

اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بك من شر الأشرار. اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بك من شر الأشرار. اللّٰهمَّ إنَّا نعوذ بك من شر الأشرار وكيد الفجار.

اللّٰهمَّ ولِّ علىٰ المسلمين خيارهم، وقهم شرَّ شِرارهم.

اللّٰهمَّ انصر المستضعفين من المؤمنين في كلِّ مكان، اللّٰهمَّ انصر المستضعفين من المؤمنين في كلِّ مكان. اللّٰهمَّ فرِّج كرب المركوبين، ونفّس هموم المهمومين، واقض الدَّين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين.

۞۞۞۞